

اشكاليات التعددية الدينية بين الإسلام والنظريات الغربية.

دراسة نقدية في فلسفة حقوق الإنسان.

أ.د. محمد عويد محمد الساير
أستاذ الأدب والنقد الأدبي العربي القديم
كلية التربية الأساسية / جامعة الانبار

الأستاذة/ خولة خمري _الجزائر
أستاذة تحليل الخطاب ومناهج النقد
مركز الوفاق للدراسات والبحوث الماليزي/ الجزائر

الملخص:

نهدف في هذه الدراسة إلى تسليط بقعة ضوء على أهد أهم الاشكاليات المعاصرة التي باتت تطرح نفسها بقوة في ظل الصراعات العنيفة التي أصبح عالمنا يتخبط فيها، فقد صار الإنسان اليوم في ظل التحولات العالمية يعيش نوعا من التيه، وهو ما جعل قضية حقوق الانسان بكافة اشكالياتها الدينية تشكل خطورة بالغة وأهمية قصوى وتعد من بين القضايا التي تهم العالم المعاصر شرقا وغربا خاصة أوطاننا العربية والاسلامية.

فأمام هذه الاشكاليات فإن كل ذلك ما كان ليكون لولا فقدان البوصلة الربانية والهدي النبوي الصحيح في التعامل السوي مع تلك القضايا، كقضية المواطنة وتغشي ظاهرة الخطابات التكفيرية وتغذيتها من طرف البروباغندا الإعلامية، وظهور فلسفات شاذة تتميز بالدغمائية والتعصب في نظرتها لحقوق الانسان، ناهيك عن تغشي ظاهرة انفصال الأقليات التي بدأت تغزو العالم وتكتسحه يوما بعد يوم آخرها تلك الدعوات التي طالب بها سكان كتلونيا من أجل إقامة دولتهم المستقلة والانفصال عن اسبانيا.

هذه النقاط وأخرى سنسعى لسبر أغوارها في نوع من المقاربات النقدية الاستمولوجية متبعين آليتي التفكير والتحليل قصد الوصول إلى اشراقات الهدي النبوي الصحيح ورؤيته الربانية لموضوع حقوق الانسان واشكاليات التعددية الثقافية والدينية والكيفية الصحيحة التي يجب أن تنتهجها دولنا العربية والاسلامية في التعامل معها وفق السنة النبوية الصحيحة لا السياسات الغربية ذات النظريات الفكرية المنحرفة والتي لا تمت لديننا بأي صلة.



الكلمات المفتاحية: حقوق الانسان، التعددية الدينية، الفلسفة الغربية، الهدي النبوي، البروباغندا الإعلامية

Abstract:

In this study, we aim to shed light on some of the most important contemporary problems that have come to the fore in the context of the violent conflicts in which our world has become floundering. Today, Is a serious and extremely important and is among the issues of concern to the contemporary world to the east and west, especially our Arab and Islamic countries.

In the face of these problems, all this would not have been possible had it not been for the loss of the Compass of God and the correct prophetic guidance in the proper handling of these issues, such as the issue of citizenship and the spread of the phenomenon of Takfir speeches and their feeding by the propaganda media, and the emergence of anomalous philosophies characterized by the humanism and fanaticism in their view of human rights, The secession of the minorities that began to invade the world and the day after that, the latest calls by the people of Catalonia for the establishment of their independent state and separation from Spain.

These points and others will seek to explore their horizons in a kind of monetary approaches to the Epistemological, following the mechanisms of disassembly and analysis in order to reach the blessings of the guidance of the Prophet and the correct vision of the Lord on the subject of human rights and forms of multiculturalism and religious and the right way to be followed by our Arab and Islamic countries in dealing with them according to the correct prophetic Sunnah Westernism with deviant intellectual theories that have nothing to do with our religion.

Keywords: Human Rights, Religious Pluralism, Western Philosophy, Prophetic Guidance, Propaganda.

مقدمة:

يعد موضوع حقوق الانسان أحد أهم الخطابات التي تلقى رواجاً كبيراً سواء في الجوانب السياسية أو الفلسفية منها ناهيك عن الجوانب الدينية لما له من قداسة دينية لكن مع تطور الزمن فقد أصبح هذا المصطلح يستعمل بطريقة ايديولوجية له اغراض استعمارية توظف بعض الفلسفات العنصرية التي تروج لحفظ حقوق الأقليات الدينية داخل الدول بداعي حماية الأوطان، فالاستعمار اليوم لم يعد كسابق عهده فقط أصبح يوظف الفكر والمعرفة والفلسفة كلها أدوات مشروعة للفتك بالشعوب وإرساء نزعة المركزية الغربية والعمل على ابقاء الفوضى داخل الأوطان.

كما كان ولازال لمختلف وسائل الاعلام الدور البارز في نشر تلك الفتن خاصة داخل الدول العربية حيث تحرض هذه الوسائل الاعلامية على الانفصال وهو ما أدى إلى ظهور موجات كثيرة من العنف لأسباب دينية وغيرها من الأسباب، فقد شهد العالم حروباً طاحنة راح ضحيتها الكثير من البشر تؤكد همجية الانسان والطابع الدموي الذي يتميز به تجاه أخيه الانسان وأكبر دليل على ذلك الحربين العالميتين الأولى والثانية فضلاً عن تلك الصراعات التي انتشرت وبشدة داخل دول الربيع العربي.

من خلال ما سبق سنحاول أن نروم في هذه الورقة البحثية اماطة اللثام عن الأسئلة التي تطرحها فلسفة حقوق الانسان في علاقتها بالتعددية الثقافية والدينية وغيرها من الإشكاليات في نوع من المقاربات الجدلية بين الفلسفة الغربية الوضعية ونظرة الاسلام من خلال السنة النبوية لقضايا سبل حماية الوطن في محاولة منا لمخالطة تلك الأبعاد الاستعمارية التسلطية التي تمارسها قوى غربية عالمية تروج لفلسفة حقوق الانسان لكن وفق رؤية امبريالية تسعى للسيطرة على الشعوب بغلاف مقنع تحريكا للأقليات الدينية بتلك البلدان المستضعفة بداعي حفظ حقوقهم من بطش الأغلبية السكانية، هذا كله سنعمل على سبر أغواره من خلال تفكيكه انطولوجياً، في اطار جدلية لطالما شغلت العديد من المفكرين العرب وهي: جدلية الشرق والغرب.

أسئلة التعددية الثقافية بين الواقع والمأمول:

يعتبر مصطلح التعددية الدينية والثقافية من المصطلحات التي باتت تفرض نفسها وبشدة خاصة في عصرنا اليوم الذي تحول إلى قرية كونية صغيرة تعج بمختلف الثقافات والأديان وهو ما يجعله محملاً بشحنات ثقافية عديدة منها الإيجابي ومنها السلبي ففي مداخلتنا هذه سنحاول مخابرة أسباب الانتقال من التعايش إلى الصراع داخل الأوطان، وبروز نوازع سلب حق الانسان في اختيار الهوية الثقافية والدينية التي تناسبه.

إن الطرح الذي أود طرحه من خلال هذا المفهوم قد يبدوا جمعا للتناقضات نعم إنه توليفة لنوع جديد من التّشاكل الثقافي العالمي، يجمع بين الاختلاف والهوية، بين الدين والإلحاد، بين الفكر والفكر المضاد له، ينفي الهوية ويثبتها في الآن ذاته، إنه أندلساً جديدة التي جسدت فيها افرادها معالم التسامح وحب الوطن من خلال ارساء معالم الهدي النبوي عندما تعانق ابن رشد مع ابن ميمون، عندما تصافح ابن عربي مع ليسينغ اليهودي... وغيرهم من الأقطاب التنويرية آنذاك، ليشكلوا ذلك الزخم الحضاري العميق المتشاكل داخل وطنهم الأندلس، ليمتد فيما بعد ذلك التأثير التفاعلي لمختلف الثقافات والأديان مُشكلاً الحضارة الاسلامية وفق هدي اسلامي مرسيا لمعالم حقوق الانسان ما جعلها تمتد على مدى ما يقارب ثمانية قرون من الزمن حتى قيل عنها بأنها الجنة الساقطة من السماء على الأرض، لتطفوا إلى سطح معالم تلك الحضارة الإسلامية العالمية العديد من المدارس الفكرية لعل أبرزها: المدرسة الرشدية وغيرها من المدارس التي كانت ولا زالت منارات علمية وصروحاً حضارية تجمع كافة الثقافات على اختلافها وتنوعها لتشع بنورها العلمي على الحضارة الغربية لحد الآن، رغم اكتساح مظاهر العولمة بمختلف ابعادها آنذاك فذاك كان واقع الحضارة الاسلامية.

وهو ما يجعلنا نتساءل كيف استطاع هؤلاء على اختلاف هوياتهم وثقافتهم واديانهم اتقان فن التعايش وتجسيد معالم السنة النبوية داخل وطن واحد؟. وكيف أرسوا تلك الدعائم التي تأصل للفكر النبوي في نظرته لحقوق الانسان وسط جو يبدوا متناقضاً، والتي تبدوا

لنناظر من بعيد استحالة سnoch معالم التّعايش الحضاري فيها؟. ما الأدوات الحضارية التي كانت بأيديهم حتى استطاعوا بها ضبط أسس توازن التعددية النّقافية والدينية في بناء تلك الحضارة التي جعلت الفيلسوفة الألمانية زغريد هونكه تؤلف كتابًا لتطلق عليه عنوان "شمس العرب تسطع على الغرب"؟. كيف وجد اليهودي مع الإسلامي، المسيحي الأرثوذكسي مع البروتستانت، الملحد مع المؤمن داخل وطن واحد؟. هذا النموذج الإنساني الراقي شكّل وبصدق صورة سيفسائية لقيم حقوق الانسان الذي مثلته هذه الحضارة كوطن حاضن لجميع الثقافات والملل المتنوعة والمختلفة، لتقوض بذلك الأبعاد السلبية لخطاب العولمة محولة إياها أداة لها لا عليها وهي لمعادلة الصعوبة التي تقتقر لها أوطاننا العربية والإسلامية اليوم خاصة بعد ثورات الربيع العربي.

والسؤال الأهم الذي يطرح في قرننا هذا هل يمكن إيجاد هذا النموذج داخل أوطاننا في عصرنا هذا عصر العولمة ومركزية الحضارة الغربية، نعم يمكن أن يوجد هذا النموذج بعيدًا عن ترسبات تلك الرؤى المرتبطة بنظرة العالم للغرب رغم صحة تلك النظرة في أحيان كثيرة، هذا النموذج الذي نراه اليوم في لقاء أنتتي فلو بعمر شريف، وتفاعل ادغار موران مع طارق رمضان... وغيرهم من الأقطاب العالمية، فهذا الأخير _طارق رمضان_ نرى تأثيراته الممتدة للتأثيرات الرشدية في الحضارة الغربية، ولكن النسخة هذه المرة في القرن الواحد والعشرين، فما هو طارق رمضان يصول ويجول أرجاء الأمصار الأوروبية مجسدًا بذلك الفكر التّعاشي العالمي، ليكون له الأثر العميق في عز قلب الحضارة الغربية.

جميع هذه النماذج النيرة التي عرضناها إلا أنه بتحول العالم إلى ما بعد الحداثة ودخول العالم لمرحلة جديدة إثر أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ هذا الحدث الذي قلب موازينًا كثيرة بالعالم، فإنه رغم التعدد الديني والثقافي إلا أن المفهوم الجديد لحقوق الانسان جعلت من هذا التنوع نوعًا من الصراع الذي تحكمه إيديولوجيات تحاول كل واحدة منها نشر ايديولوجيتها بشتى الوسائل خاصة في ظل الصراع القائم بين الشرق والغرب أو بالأحرى بين الإسلام والغرب ما جعل القوى العالمية توجه عداها نحو الهوية الإسلامية

متخذة من حقوق الانسان أداة لذلك وهو ما زاد من حركة الفوبيا من الاسلام في الدول الغربية.

الإسلاموفوبيا ونوازع العداء تجاه هوية الثقافة الإسلامية:

فبعد أن تم اقناع العالم بخطر الثقافة الإسلامية استخدمت هذه الورقة لنشر الفوبيا في العالم تجاه الإسلام وتصويره في أبشع الصور سواء في الصحافة المكتوبة أو مختلف الوسائل الاعلامية المسموعة وهذا حتى يتم التنفير من كل ما له صلة بالهوية الإسلامية، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه أمام هذه الشيفرة المعولمة للهويات لماذا تستعمل شعارات حقوق الانسان كمطية لزرع الفتن والبلبل بالوطن العربية والإسلامية؟. وهل بات الإسلام هاجس الغرب الذي يورقه ويقض مضجعه؟. لتتحول أنظار العالم الغربي قاطباً تجاه هذا العدو الجديد، والسؤال الذي يطرح نفسه أكثر هو: هل النظام الفكري الغربي قائم على هاجس ضرورة العيش على مبدأ وجود عدو حتى يقتات العيش على هذا الحراك العدائي...!!!،

لعل هذا ما أكده المفكر الأمريكي نعوم تشومسكي الذي دق ناقوس الخطر حينما قال: "نحن نعيش في بلد خائف وأسباب هذه الوضعية، بصراحة أجهلها، ومحمّل أنها مرتبطة بالتاريخ البعيد للولايات المتحدة الأمريكية"^(١).

"Nous vivons dans un pays qui a peur, et les raisons de cette situation – franchement, je ne les comprends pas – remontent probablement loin dans l’histoire des Etats-Unis..."

ولعل ترجمات هذا الخوف على أرض الواقع يذكرنا بسنة ٢٠١١ حينما أُلقيت شرارة فكرة استعمارية هناك بدارفور تدعو إلى ضرورة الانفصال لم تأخذ على محمل الجد بالسودان، ليصحو السودانيون آنذاك على قرار تقسيم السودان إلى دولتين إحداهما ذات هوية ثقافية إسلامية والأخرى مسيحية ودائماً برعاية أمريكية عفوا صهيونية...!!!.

وهو ما يطرح الأسئلة من جديد عن طبيعة فلسفة حقوق الانسان التي تروج لمفهوم الانفصال والصراعات العرقية والدينية خاصة داخل الدول العربية والإسلامية، فما يحدث في بعض الدول العربية خاصة منذ سقوط جدار برلين ليس بأمر وليد الأحداث برز هكذا فجأة، وإنما هو تطبيقاً لمخططات العديد من الفلسفات الغربية منها فلسفة نهاية الأيديولوجيا وكذلك ونهاية التاريخ ناهيك عن فلسفة صراع الحضارات ومن قبلهم الكثير من الفلسفات التي توصل لفكرة الأحادية القطبية أو ما يسمى بتفوق الرجل الأبيض، هذه المشاريع التي تسمى بمشاريع القرن في الدوائر السياسية الغربية تفعل الآن بكثير من الدول العربية على أرض الواقع، ولعل هذا يذكرنا بما جاء على لسان برنارد لويس في إحدى المقابلات الصحفية قوله: "إنه من الضروري إعادة تقسيم الأقطار العربية والإسلامية إلى وحدات عشائرية وطائفية، ولا داعي لمراعات خواطهم أو التأثير بانفعالاتهم وردود الأفعال عندهم، ويجب أن يكون شعار أمريكا في ذلك، إما أن نضعهم تحت سيادتنا أو ندعمهم ليدمرؤا حضارتنا"^(٢).

من خلال هذا التصريح الخطير لبرنارد لويس نتبين مدى الهاجس الكبير الذي تعيشه الدول الغربية تجاه الهوية الثقافية العربية والإسلامية، والفوبيا الكبيرة التي أصبحت تسيطر عليهم تجاه الحضارة الإسلامية خوفاً من أن يكتسح المارد الإسلامي من خلال ثقافته العالمية الحاضرة لفكرة التعددية الثقافية طابع حضارتهم التي تشهد تصدعاً رهيباً، فمفهوم التعددية الثقافية الدينية الداعية لحفظ حقوق الانسان حث عليها الاسلام من خلال قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٣). فمن خلال هذا القول لا يسعنا سوى القول بأن الهدى الرباني هو البوصلة الصحيحة والسنة النبوية الصحيحة هي الحصن الحصين لغرس مبادئ حقوق الانسان الحقيقية لا المزيفة المروج لها في فلسفات لا تقيم أدنى اعتبار لمفهوم التعددية الثقافية والدينية بل و تعمل على نسف الهويات الثقافية اعلاء لسلطنة

المركزية الغربية ودى قدرتها في السيطرة على الشعوب و جعلها خاضعة لها بشعارات رنانة في حين هي انتهازية ومزيفة.

الهوية الثقافية الإسلامية وسلطة المركزية الغربية:

يعد مفهوم الهوية الثقافية من المفاهيم الجدلية التي تستعصي على الباحث فهي مفهوم زئبقي يتداخل مع العديد من العلوم خاصة علم الاجتماع وتطرح العديد من الإشكاليات المتداخلة، فقد حاول العديد من الباحثين ولوج معترك البحث فيها قصد وضع مفهوم محدد لها فربطها كل مفكر بعنصر معين.

يعرف الفيلسوف المغربي محمد عابد الجابري الهوية الثقافية بقوله: "الهوية الثقافية هي حجر الزاوية في تكوين الأمم، لأنها نتيجة تراكم تاريخي طويل، فلا يمكن تحقيق الوحدة الثقافية بمجرد قرار، حتى لو توفرت الإرادة السياسية"^(٤). ولعل هذا التعريف الموجز يؤكد مرة أخرى مدى تمسك الشعوب بهويتها وهو ما أكد عليه كذلك المفكر المصري محمد عمارة بقوله: "أن هوية الشيء ثوابته التي لا تتجدد ولا تتغير، وتتجلى وتفصح عن ذاتها دون أن تخلي مكانتها لنقيضها طالما بقيت الذات علي قيد الحياة، فهي كالبصمة بالنسبة للإنسان يتميز بها عن غيره وتتجدد فاعليتها، ويتجلى وجهها كلما أزيلت من فوقها طوارئ الطمس، إنها الشفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها، والتي عن طريقها يتعرف عليه الآخرون باعتباره منتما لتلك الجماعة"^(٥).

والمنتبع للحراك الثقافي بالوطن العربي والإسلامي يلحظ أن تهافت التكاليف على المرجعية الثقافية لبنية الهوية الإسلامية ازداد وبشدة خاصة بعد نكسة حزيران 1967، ولعل مرد ذلك راجع لكون تلك الصدمة التاريخية مع المركزية الغربية زعزت كيان المجتمعات العربية في نظرتهم إلى هويتهم وحقيقة كثير من قاداتهم السياسية، فعرفوا بذلك مكانهم الحقيقي في سيروية الحركة الحضارية للعالم، فهناك من الكتاب من انتحر أمثال خليل

حاوي إثر اجتياح الكيان الصهيوني لمدينة بيروت سنة 1982، وهناك من توقف عن الكتابة، وهناك من تحول إلى الكتابات ذات الطابع السوداني... وغيرها.

وهذا ما كان ليكون لو لا فقداننا لبوصلة الهدي النبوي ودورها في حماية أوطاننا، لتبدأ فيما بعد رحلة العرب مع محاولات لمّ شعث هويتنا المهزومة آنذاك، فكان الأمر بين مد وجزر إلى يومنا هذا ناهيك عن ذلك الحادث العالمي وهو أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 الذي كان له الدور الفاعل كمطية في الفتك بالهوية الإسلامية انتقاماً وحقاً على حضارتنا الإسلامية، لتنتابح الأحداث تلو الأخرى نتيجة ذلك الحدث ليصل الأمر إلى حد الفتك بالهوية العربية الإسلامية من خلال اذكاء نار الطائفية القاتلة خاصة بعد ثورات الربيع العربي، ورفع شعارات حقوق الانسان و الحفاظ على هوية الأقليات والتي أوجدتها فلسفات فكرية طبخت هناك لعل أبرزها نظرية صراع الحضارات التي تروج لفكرة العداء بين الأديان والثقافات المختلفة خاصة الخطر الذي تشكله الحضارة الإسلامية على المركزية الغربية كما يزعمون، ناهيك عن فلسفة نهاية الأيديولوجيا وفلسفة نهاية التاريخ هذه الأخيرة تعد أبرز الفلسفات التي تعطي من شأن الفرد الغربي باعتباره صاحب الحق الأعظم لقيادة العالم وضرورة خضوع كافة الثقافات تحت منظومته الثقافية وكذا الدينية وهو ما سنعمل على تبينه من خلال تفكيكنا لكل من نظرية نهاية الأيديولوجيا ونظرية نهاية التاريخ في نظريتهما لحقوق الإنسان والسؤال الذي يطرح في هذا المقام أي حقوق انسان وأي تعددية ثقافية ودينية تروج لها هذه الفلسفات؟. فضلا عن السؤال الأهم هل حقا تدعو هذه الفلسفات لحفظ التعددية الثقافية والدينية في اطار الحق الانساني؟. هذا ما سنحاول سبر أغواره من خلال تفكيكنا لهذه الفلسفات.

نهاية الأيديولوجيا وفلسفة حقوق الإنسان:

"نهاية الأيديولوجيا" مصطلح له وزنه في العلاقات الدولية العالمية فهو أحد أهم المقولات التي عرفت رواجاً كبيراً مطلع الخمسينيات من القرن الماضي "عندما وضع هـ. ستيوارت هيوز مصطلح «نهاية الأيديولوجيا السياسية» استناداً إلى مظاهر تراجع

الشيوعية في الاتحاد السوفييتي بنهاية عهد ستالين، وهي الفكرة التي راجت بعد سنوات قلائل لدى علماء اجتماع، وكتاب أميركيين مثل شيلز وبيل وليبست وشيلزنجر وواكسمان ووالتر روستو. ففي مؤتمر ضخم عقد في ميلانو بإيطاليا عام ١٩٥٥ حول (مستقبل الحرية) تم الإعلان عن اختفاء أسباب الصراع الأيديولوجي في العالم وإعلان نهاية عصر الأيديولوجيا، قاصدين (الشيوعية) بالطبع^(٦). وبتفكيرنا لهذه المقولة نجد أن هيوز نسي أو تناسى أن الأيديولوجيا يستحيل التخلي عنها كونها نسق ومنظومة فكرية تعبر عن هوية ثقافية و دينية أصيلة في كل مجتمع فهو حق مشروع من حقوق الإنسان، فمن قال مثلاً أن الأيديولوجيا الشيوعية قد سقطت بسقوط جدار برلين Berliner Mauar سنة ١٩٨٩ كما تم إيهامنا، فقد تحولت في أشكال ومظاهر فكرية جديدة.

تعتبر أطروحة سقوط الأيديولوجيات أصدق تعبير عن حالة التشرذم الوجودي الذي يكتنف المنظومة الفكرية والفلسفية للحضارة الغربية في نظرتها لحقوق الانسان، وإحدى أبرز الصروح الفكرية التي تتبناها الدوائر السياسية الغربية لزعزعة أمن واستقرار الدول العربية من خلال اللعب على وتر حفظ التعددية الثقافية للأقليات داخل الدول، فالأيديولوجيا كما يقول عنها عبد الله بلقزيز: "إنها تعطي الانسان قدرة على تأويل العلاقات الاجتماعية وتنظم وعيه بحوادثها، بل وتنظمها بمقتضى منطق أو قاعدة أو مبدأ أو قيمة يتواضع عليها الناس، ويحصل الاجماع بينهم على اعتمادها، وهنا لا تقل الوظيفة الاجتماعية للإيديولوجيا عن الوظيفة المعرفية للعلم"^(٧).

فنهاية الأيديولوجيا كما نرى هي دعوة للإيديولوجيا بحد ذاتها، فهذه المقولة تحاول نسف الأيديولوجيات والثقافات المختلفة وتفكيكها وظيفياً، من خلال اللعب على نسف الفكر المتواضع عليه من طرف تلك المجتمعات، وبالتالي تحدث خللة عميقة لذلك البناء الاجتماعي Social Structure واضحة ايديولوجيا وثقافة معينة باعتبارها النموذج الذي يجب الاحتذاء به، وهو ما يجعل الدول العربية باعتبارها قليلة الفاعلية في سياق التواصل الحضاري للعالم تواجه تحديات كبيرة لحفظ ايديولوجيتها وثقافتها أمام غطرسة مد

الأيديولوجيا الواحدة المهيمنة على العالم والتي تسعى القوى الغربية إلى فرضها بشتى الطرق ومختلف الوسائل.

وأمام هذه النزعة الارهابية المبطنة بدواعي شيفرة ايديولوجيا الديمقراطية وحقوق الانسان على الطريقة الغربية وغيرها من الأقنعة المصطنعة التي أوهمونا بضرورة تطبيقها في أنظمتنا السياسية، أدى ذلك إلى ظهور أصوليات شديدة التطرف كرد فعل على تلك السياسات المنتهجة للدول الغربية خاصة الولايات المتحدة الأمريكية في علاقتها مع دول العالم الإسلامي "فهي من أي موقع تعبر عن ايديولوجيا، إنها بعبارة أدق تحاول تكريس نفسها ومنظومتها، من خلال نزع الشرعية عن أية ايديولوجيا واكسابها لنفسها بعد الإيهام بتحرر منظومتها من الأيديولوجيا"^(٨).

فالعولمة الفكرية الساعية لتبني حقوق الانسان على الطريقة الغربية من خلال هذه الأطروحة بقدر ماهي نعمة بقدر ماهي نقمة أدخلت العالم في مأزق حضاري وثقافي مدمراً للهويات ومقصياً للتنوع الايديولوجي والديني الذي يحفظ كيان الدول، وهو ما يجعلنا نتساءل مع عالم الاجتماع الفرنسي ألان توران حينما تساءل قائلاً: "كيف نتخلص من الخيار الصعب بين عولمة كونية خادعة تغفل تنوع الثقافات، والواقع المنغلق للجماعات المتوقعة على ذاتها"^(٩). فمحاولة نشر ايديولوجيا واحدة وثقافة واحدة بقوة السلاح وزرع الأفكار الطائفية الخبيثة والمدمرة وعدم اعطاء مساحة كافية لباقي الهويات الثقافية والايديولوجية يشعر الثقافات و الجماعات المهمشة بالكبت وعدم الاكتراث لحقوقها، فأدى ذلك إلى ما أدى إليه من خراب في العراق وسوريا وغيرها من الدول العربية التي أصبحت تتجسد فيها قيم الوحشية والجنون الحضاري إن جاز التعبير المرتبط تلك الصور الدموية بسياسات الدول الغربية وسعيها الحثيث لتطبيق هذه الشيفرة المرضية في نسيج بنيتها السياسية. "فإن البحث عن أصل واحد وجوهر واحد يؤدي ليس فقط إلى تخریب الثقافة، بل إلى أخطر الأصوليات"^(١٠). وهو ما أدى إلى العبث بمقومات الثقافة العربية وتلك العادات التي كانت تحفظ التنوع الطائفي والتماسك الاجتماعي لمجتمعاتنا العربية خاصة

في العراق التي كانت فسيفساء جميلة من الطوائف المتجانسة فكرياً وعقدياً متعايشة مع بعضها البعض دون تكفير أو حقد، كل ذلك ذهب هباءً منثوراً تفعيلاً للعداء بين السنة والشيعة وغيرها من الطوائف بداعي حقوق الانسان، لتبرز أصوليات شديدة الخطورة ممثلة في ما يسمى "بداعش" وغيرها من التنظيمات الإرهابية الشديدة التطرف وهنا نبقي السؤال مفتوحاً عن كيفية أسباب ودواعي دخول هذا التنظيم الإرهابي إلى العراق الحبيب ؟.

نهاية التاريخ وفلسفة حقوق الانسان:

تعدُّ مقولة فرنسيس فوكوياما Francis Fukouyama إحدى أبرز السرديات الكبرى التي تشكل البنية العقلية للمجتمعات الغربية في القرن الواحد والعشرين في نظرتها للآخر، فقد أصدر الياباني الأمريكي فرنسيس فوكوياما سنة ١٩٨٩ كتابه الشهير "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" **The end of history and the last man** معلناً من خلاله أن التاريخ الإنساني قد أعلن نهايته ووصول أوجه في النموذج الحضاري للفرد الأمريكي الأمريكي وهو ما يترجم لنا أن الأجدر حسبه بالتربع على عرش سيادة العالم هي الثقافة الأمريكية، وبالتالي انضواء باقي الثقافات وحتى الأديان تحت لواء هذه الثقافة، وهو ما يجعل الدول مفعولاً بها لا فاعلة خاضعة لمفهوم حقوق الانسان وفق تلك الرؤية.

إن الحديث عن علمنة العالم التي دعا إليها فوكوياما تضع الشعوب إزاء "عملية زعزعة للذات وتشكيك فيها، وتفجير لعناصرها وتجاوز لها صوب العقل العلمي الثوري الذي يأنف الثوابت"^(١١). وهو ما عجل بتطبيق مبادئ العولمة في قالب حقوق الانسان بداعي حماية الأقليات داخل الدول وهو ما يضع الهويات أمام تحدي معرفة الذات قبل الآخر كون ذاته شهدت انقراضاً عنيفاً تحتاج لسنوات إن لم تكن قروناً حتى ترمم وتعود لسابق عهدها، وتتخلص من رواسب تلك الهزة العنيفة والسلطة القاهرة لإرادتها، وهو ما جعل العديد من المفكرين يشنون حملة ضد المبادئ التي تروج لها العلمانية لعل على رأسهم كل من مالكم برادبري وجيمس ماكفارلينفي يقولان بأن "إن الهزات الحضارية التي تحدث بصورة منتظمة في التاريخ الفن والأدب والفكر هي أقرب ما تكون إلى الهزات

الزلازلية التي يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع رئيسية: النوع الأول هو ما يمكن تسميته بالهزات البسيطة "Tremors" التي تتعلق بالمودة أو التقلية، والتي غالبا ما تاتيها الأجيال المتعاقبة، تستمر هذه التقلية مدة لا تزيد عن عشر سنوات، والنوع الثاني من الهزات هو ما يمكن نعتة بالإزاحات الكبيرة "Displacement" التي تمتاز بالتحولات العميقة والواسعة التي تخلفها وراءها وغالبا ما يستمر تأثيرها مدة طويلة وتقاس بالقرن، والنوع الثالث هو ذلك النوع المدمر الكاسح "Cataclysm" الذي يقوض مساحات واسعة من البناء الحضاري والفكري ويتركها أكواما من الانقاض^(١٢).

أمام هذا الخطاب نستطيع قياس مدى الشرخ الحضاري الذي أحدثته السياسات التطبيقية لهذه الشيفرة الفلسفية، خاصة وأن منظري الليبرالية والعولمة استقطبت آرائهم في المنظومة القيمية والفلسفية بالعالم والوطن العربي منه على وجه الخصوص، فهم يعملون وفق مؤشرات استقرائية تعمل على المدى البعيد وفق فرضيات محددة ليصلوا إلى نتائج استنباطية ترسم معالم تشظي الهويات الثقافية و الدينية، وبالتالي نادرا ما يصلوا إلى نتائج مخالفة لتلك النتائج التي وضعوها أول الطريق.

وفي أولى ردود الفعل تجاه هذه الفلسفة نجد ما أكد عليه المفكر المصري عبد الوهاب المسيري بأنه _فوكوياما_ في فلسفته هذه يجعل من أطروحته مجرد بهرجة لإلهاء العالم حيث قال: "بقدر ماهي قضية جزئية ومثيرة للجدل والنقاش، فإنها لا تستند إلى مقومات علمية دقيقة لابتعاد صاحبها عن القاعدة الثابتة التي تشكل منطلق المؤرخ، وهي النزاهة والموضوعية، ما جعله يسقط في شباك التحيز حين وضع فكرته في خدمة السياسة الأمريكية الرأسمالية، وصاغ أفكاره بروح انبهارية تحت نشوة انتصار النظام الدولي الجديد، فإن هذا التوجه المهندس سلفا جره إلى السباحة في عالم تخيل فيه أن التاريخ قد انتهى وأغلق أبوابه بعد انتهاء الحرب الباردة"^(١٣).

في حين نسي أو تناسى فوكوياما أن هناك دولا خرجت من كهفها، وبدأت تبرز كدول عملاقة لها وزنها في حركة التاريخ، لعل أبرز هذه الدول الصين وروسيا التي تحاول

استعادة مجدها التاريخي السابق، إلى جانب الهند ودولة ماليزيا ذات التوجه الإسلامي البحث، هذه الدولة التي قادها مهاتير محمد صانع تاريخها إلى مصاف الأقطاب الفاعلة في تاريخ العالم من خلال تطبيقه لفكر المفكر الإسلامي الجزائري مالك بن نبي خاصة في المجال الاقتصادي لتصبح ماليزيا إحدى أبرز الأقطاب الاقتصادية بالعالم.

وإلى جانب النموذج الماليزي فقد بدأت تظهر على ساحة التاريخ العالمي تركيا التي تتميز بالتعددية الثقافية والدينية وذلك بقيادة الرجل العصامي أردوغان، الذي أصبح البطل الروحي للأتراك خاصة بعد فشل المحاولات الانقلابية عليه، فكل واحدة من هذه الدول لها هويتها الثقافية والدينية التي تميزها وتحفظ كيانها، فهذه الأخيرة _تركيا_ تعمل على إعادة مجد الهوية الإسلامية التي تتعايش فيها مختلف الطوائف والتوجهات الفكرية والدينية، لتعيد تركيا كوطن متعدد الاعراق من خلال سياستها الرشيدة رغم بعض الهفوات إلى أحضانها الفكر الإسلامي وفنون التعايش الحضاري مشكلة مزيجا حضاريا للتعدد الثقافي في قلب العولمة الشرسة بأوروبا لتجسد معالم حقوق الانسان وفق الهدي النبوي، لعل أبرز تلك الحقوق عودة الحق في لباس الحجاب بالنسبة للفتيات المسلمات اللواتي كنا محرومات سابقا منه رغم أنه يعتبر من أبسط الحقوق الانسانية التي يجب احترامها واحترام كل من تتخذ منه وسيلة للتعبير عن هويتها سواء الدينية أو الوطنية.

ها هي إذن النماذج ماثلة أمامنا لتدحض تلك المزاعم الفلسفية للخطاب الاستعماري الغربي عن نهاية التاريخ في النموذج الثقافي الأمريكي الإمبريالي، لنقول معا لفوكوياما هل نستطيع وبعد هذا أن نقول بأن التاريخ انتهى في النموذج الحضاري الأمريكي...!!

أطروحة صراع الحضارات وفلسفة حقوق الانسان:

يعتبر النص الظاهرة "صراع الحضارات" The Clash of Civilizations الذي أطلقه صموئيل هنتنغتون Samuel Phillips Huntington سنة ١٩٩٣ إحدى أهم السرديات الكبرى التي تحكم البنية الاستعمارية للعقل الغربي وما زاد من شرعية هذا الخطاب الكولونيالي والعنصري تجاه فكرة التعددية الثقافية و الدينية أحداث 2001/09/11

التي كانت بمثابة القطرة التي أفاضت كأس الكراهية تجاه الهوية الإسلامية فوجّهت الاتهامات مباشرة للمسلمين، وقد تضمنت أطروحة هنتون في ثناياها أهدافا عقائدية بحتة، ممررة من طرف المحافظون الجدد الذين يحكمون سيطرتهم على مسار السياسة الأمريكية ويوجهون لعبة توزيع أحجار رقعة الشطرنج الإرهابية في المكان المناسب من العالم تفكيكا للهويات والطوائف وعملا على نشر التكفير والعدائية تجاه الآخر خدمة لمصالحهم وتجسيدا للإمبراطورية العظمى التي يحلم بها اليمين المتطرف هناك، هذه الإمبراطورية التي راجت في أدبيات الماسونية كثيرا باعتبارها الحلم الذي تسعى لتحقيقه الصهيونية العالمية وبالتالي فوضع مفاهيم حقوق الانسان تصاغ وفق تلك الرؤية الصهيونية.

ففي إطار تحقق تلك النبوءة الهنتونية إثر ذلك الانعطاف التاريخي للعالم وهو أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م توجه الخطاب السياسي والعسكري للولايات المتحدة الأمريكية بعد يوم السبت الأسود مباشرة لتكريس خطابات العدائية تجاه الهوية الإسلامية، فبرز إلى العلن خطاب الثنائيات الضدية في الحوارات الصحفية للقائمين على السياسة الأمريكية هناك كثنائية "محور الشر، محور الخير" ورواج مصطلحات طافحة بالعنصرية كمصطلح الإسلام الراديكالي، الإسلام الأصولي، الجماعات الإسلامية الإرهابية... وغيرها من المصطلحات الطافحة بأحقاد الحروب الصليبية المسيطرة على النسق الفكري لقادة الغرب، فيذكر العالم جيذا لما اعتلى جورج بوش الابن منبر البيت الأبيض ليعلن عن عودة الحروب الصليبية من جديد..!!، وللوقوف أكثر على أبعاد فلسفة هنتون في نظرته للهوية الإسلامية سنقف على كيف صارت الهوية الإسلامية هاجسا في فكر هنتون معتبرا إياها الخطر المحدق بالدول الغربية.

هاجس الهوية الإسلامية عند فلسفة صمويل هنتون:

يشير هنتون إلى أن غياب دولة مركز في الحضارة الإسلامية هو عامل ضعف وقوة في آن واحد، فمن ناحية يعتبر عاملا مساعدا وأساسيا في وجود المواجهات الخارجية والداخلية المستمرة التي تلحق بالإسلام فضلا عن تأثيره في الوعي الإسلامي، ويشكل ذلك

مصدر ضعف بالنسبة للإسلام ومصدر تهديد للحضارات الأخرى، يتساءل هونغتون هل ستستمر هذه الحالة؟ ثم يجيب قائلا: يفترض أن تكون دولة المركز الإسلامية متصفة بعدة شروط أبرزها، يجب أن يكون لديها موارد اقتصادية وقوة عسكرية وكفاءة تنظيمية وهوية إسلامية والتزام بأن تكون قيادة سياسية ودينية للأمة^(١٤).

وهو ما تسعى القوى الغربية إلى عدم تحقيقه من خلال طرح بعض الفلسفات التي ظاهرها إنسانية لكنها في حقيقتها انتهازية بداعي حماية حقوق الإنسان، وهو ما نلمسه من خلال طرح هونغتون في كتابه هذا والذي عمل المحافظون الجدد على تبني جميع أفكاره ورسموا من خلاله معالم الطريق إلى استعمار الاوطان العربية من جديد ولكن هذه المرة بوسائل أكثر تطورا تصوغ فلسفة القوة الناعمة الغير مباشرة مجندة مختلف التقنيات الحديثة كوسائل التواصل الاجتماعي و دورها في انكار نار الفتنة بين أبناء الوطن الواحد، فقد كانت أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ كفيلة في استثارة المحافظين الجدد واستنفارهم من أجل بلورة رؤية أمريكية قديمة بثوب جديد لتغيير العالم الإسلامي بما يكفل لهم الحصول على مزيدا من الثورات وإبقاء على الفوضى أكبر فترة ممكنة، وتراجعا أكبر لهذه المنطقة نحو التطرف ومختلف الخطابات العدائية التي تكره الارهاق والعنف كمعادل موضوعي للإسلام، فلقد تم ربط العالم العربي والإسلامي ربطا مباشرا بمصالح القوى الغربية، حيث امتدت سياسات هونغتون باعتباره أحد أقطاب المحافظين الجدد إلى معظم بل كل القضايا الداخلية للدول العربية والإسلامية في أبعادها الثقافية والاجتماعية والسياسية.

فالخلفيات الدينية حاضرة وبقوة في خطاب هونغتون الذي يستمد أفكاره من فكر أصولي انجيلي وتوراتي قائم على العداء الشديد للحضارة الإسلامية، وقد كان "الحادي عشر من سبتمبر الحدث الذي مزق الستار الشفاف الذي كانت تتخفى خلفه قتل الحقد العنصرية لتتجرف كالسيل حمما و براكين في فلسطين و في الولايات المتحدة الأمريكية نفسها ، و ليعبر عنصريو الغرب في فرنسا وإيطاليا وإنجلترا و بلجيكا وهولندا عن حقدهم الدفين بكل

أريحية وبدون وجل أو شعور بتأنيب الضمير ، فالآخر الذي هو الإسلام هو عدو لابد من محاربته بدون رحمة !!^(١٥).

ولعل أحد أبرز الوجوه الفكرية الذائعة السيط في الفكر الغربي والذي يستمد منه هنغتون والمحافظون الجدد نظرتهم للحضارة الإسلامية كلود ليفي شتراوس أحد أقطاب الفكر الغربي الذي تميز بعنصريته تجاه الحضارة الإسلامية وكرهه الشديد للثقافة والهوية الاسلامية، الذي يعتبر الأب الروحي والمؤسس الأول لهذا التيار من خلال نظريته الموسومة ب "استبداد النخبة" حيث يقول: "إن الحقائق الأساسية عبر التاريخ والمجتمعات الإنسانية يجب أن تمسك بها النخب وحدها، و أن يقصى عنها الآخرون _ الحضارة الإسلامية _ الذين لا يملكون القدرة على تحمل المكاره و الصعوبات من جراء الحقيقة، لذلك لابد من إغراق الناس بالأكاذيب حول طبيعة الحقيقة السياسية، أما النخب وحدها فهي قادرة على تمييز الحقيقة على أن تحتفظ بها "^(١٦).

وهو ما نراه متأصلا في المنظومة القيمية للحضارة الغربية والذي حاول هنغتون تأكيده من خلال نظريته للحضارة الإسلامية على اعتبار أنهم الشمس التي تشرق على العالم يوميا بنورها، ولذلك يعتبرون أنفسهم أصحاب فضل على باقي الشعوب لأنهم موطن العلم والحضارة، وما على باقي الشعوب إلا تتبع خطى هذا النور للوصول إلى ركب الحضارة الغربية والخروج من ذلك الجهل الذي كانوا يتخبطون فيه .

ويقدم لنا الباحث هادي قبيسي فكر ليوشتراوس العنصري من خلال تحليله لكتابه "حول الاستبداد" حيث يرى بأن شتراوس يعترف بحق القوي التسلط على الضعيف، لكنه يرفض إساءة استخدام السلطة ، فينبغي للعالم أن يقدم للشعب ما يتناسب مع قابليته وحاجاته، وفي نظر ليوشتراوس لا تتشكل هذه القابليات من السعادة والحرية، بل من أجل تحويل الجمهور إلى قطيع، فوحده البكاء والتضحية يمكن أن تؤدي إلى تكامل الجمهور، من خلال نقل الجمهور من الحياة البرجوازية الاستهلاكية إلى الإغراق في الراحة، وهذه الراحة تأتي من خلال التضحية الدائمة تجاه الله والوطن^(١٧).

نستنتج في هذا السياق وفقا لهذا التصور أن الأستاذ وتلميذه _ شتراوس وهنغتون _ يدعوان إلى الازدواجية في الخطاب تجاه التعامل مع الحضارة الإسلامية، من أجل تحقيق الأهداف المسطرة فالغايات المقدسة حسبهما تبرر الوسيلة المتبعة لتحقيقها، ومن مثل هذه الأفكار استطاع جورج بوش الابن النجاح في خطابه السياسية المتعددة على التمويه والخديعة لإقناع الطرف الآخر بما يريد .

إنّ يحصر هنغتون الصدام الحضاري في نظريته للحضارة الإسلامية بأنه ثنائي الأطراف، الغرب من جهة والإسلام والصين من جهة أخرى، بالرغم من الاختلافات الثقافية بين الإسلام والصين، إلا أن هاننتغتون يؤكد على أن العدو المشترك يخلق مصلحة مشتركة للإسلام والصين، ويعتمد في تحليلاته على إبراز المخاطر المحتملة على الحضارة الغربية من هذا التحالف الملاحظ بين الصين وكحضارة مع العالم الإسلامي وهو ما يشكل خطرا كبيرا على الدول الغربية حسبه.

فيما يرى محمود وسجى زيدان التحدي بين الغرب والحضارات العالمية يأتي حسب امكانية اندماج الحضارات في الحضارة الغربية، فكافة الحضارات تسعى للانضمام إلى الغرب وليس لها أي تأثير مستقبلا على الحضارة الغربية، إذن العدو المستقبلي للغرب سوف يكون إما الحضارة الصينية أو الحضارة الإسلامية^(٨).

وهذا ما جعل هنغتون يفزع من ذلك التواصل الكبير بين الحضارة الكونفوشيوسية والحضارة الإسلامية خاصة من الناحية الاقتصادية التي تزداد يوما بعد يوم فضلا عن الدعم العسكري والنفسي الذي تقدمه الصين لكثير من الدول العربية.

فلسفة تسطيح الثقافات وتهميش حق التعددية الثقافية:

تعتبر أطروحة تسطيح الثقافات أو العالم مسطح The World Is Flat أحد أهم السرديات الكبرى التي باتت تحكم الذهنيات الغربية في علاقتها مع فكرة التعددية الدينية والثقافية خاصة منذ سقوط جدار برلين، وهي الفكرة التي صاغها شرحها بدقة متناهية المفكر اليهودي توماس فريدمان Thomas L. Friedman في كتابه العالم مسطح أو

العالم مستوي حيث حل وبين بطريقة شيقة لأوضاع الثقافات المختلفة بالعالم انطلاقاً من ملاحظاته التي رآها خلال رحلاته التي أقامها حول العالم لاكتشاف طبائع الشعوب وثقافتهم ونظرتهم للحقوق و الواجبات، هذه الملاحظات الدقيقة التي كشف توماس فريدمان من خلالها عن مدى عمق الطرح الذي أصل له ليكشف للعالم أن العالم مسطحاً ثقافياً وأن القوى الكبرى تسعى لذلك حثيثة بمختلف الوسائل المشروعة منها وغير المشروعة كقزاعة حقوق الانسان واحترام ثقافة الأقليات سواء الدينية منها أم الثقافية بدعوى أنهم مضطهدين من طرف الأغلبية السكانية خاصة داخل الاوطان القليلة الفاعلية في الحراك الثقافي والسياسي والاقتصادي .

وقد وضع توماس فريدمان عشرة عوامل ساهمت في بلورة فلسفة تسطيح العالم التي تعمل على الجعل من الثقافات المختلفة والمتنوعة ثقافة واحدة "أولها هدم جدار برلين يوم ٩/١١/١٩٨٩، وثانيها عندما أتيحت الإنترنت وأنظمة البريد والتصفح عبر الشبكة العنكبوتية يوم ٩/٨/١٩٩٥، وثالثها تطبيق برامج تدفق العمل التي تحول الأعمال والتطبيقات المختلفة إلى أنظمة حاسوبية وشبكية أيضاً. الرابع كان تطوير أدوات البحث والتحرير والتعاون والمحادثة والنشر عبر الشبكة، من خلال المواقع العملاقة والصغيرة للبحث والإعلان والنشر والتسويق والمعرفة. أما الخامس فتبادل المعرفة والبرامج مجاناً أو بأسعار رمزية، وهي الظاهرة التي يمكن تسميتها "المصادر المفتوحة" التي توفر المعلومات والموسوعات والبرامج والخدمات. والسادس هو تلزيم الأعمال إلى الخارج الذي يتيح تنظيم الأعمال والعقود والخدمات من خلال الشبكة، أما السابع فهو نقل الأعمال من بلد إلى آخر بسهولة وبخاصة مع دخول الصين إلى السوق العالمي وانضمامها إلى منظمة التجارة العالمية. الثامن هو سلاسل التوريد، والتاسع هو إتاحة الخدمات (مثل الصيانة) من مصادرها في أي وقت وفي أي مكان. أما العاشر والأخير فجلب المعلومات عبر مواقع ومحركات البحث مثل غوغل، وياهو، وإم إس إن، وإمكانية الاتصال والعمل بين الأجهزة نفسها "الذكاء الصناعي"^(١٩) .

إذن هي عوامل شتى أدت إلى الجعل من العالم قرية كونية صغيرة ومحاولات تهميش العديد من الثقافات والجعل من الثقافات المختلفة داخل بوتقة ثقافة واحدة، لعل على رأس هذه الأسباب الانتشار الشديد لوسائل التواصل المعرفية التي انتجتها حركة وسيرونة الانترنت بالعالم، لتؤسس لفكرة ايدولوجية العولمة ساعية إلى الجعل من العالم ذو ثقافة واحدة من خلال الغاء الحدود الزمكانية التي تمارس من خلال الشركات المتعددة الجنسيات التي تخترق العالم على جميع المستويات، ساعية لإحكام سيطرتها الاقتصادية والثقافية على العالم خاصة منها تلك التي تعاني عدم فاعليتها الحضارية، فهذه الشركات رغم الإيجابيات التي حققتها إلا أنها تعد بمثابة الاضطبوط الذي ينفث سمومه على الدول المستضعفة، وينشر شباكه حول العالم تأكيداً لهيمنة النموذج الحضاري والثقافي للولايات المتحدة الأمريكية على العالم، نشرًا لثقافة أطعمة المكدونالد في مختلف دول العالم، وثقافة موسيقا الروك الصاخبة التي تعكس مكبوتات ثقافة إنسان ما بعد الحداثة بكل إشكالياتها الروحية والثقافية والحضارية، وثقافة الاباحية والمثالية الجنسية تحت دواع مزيفة ضاربة بعرض الحائط ضرورة احترام الخصوصية الثقافية للشعوب والحضارات منعاً لظهور النموذج الرباني للنبي عليه الصلاة والسلام حول تنظيم فكرة التعددية الدينية والثقافية مشكلة أمة واحدة هي الأمة الإسلامية على اختلاف و تنوع الملل والنحل بها.

وتعد قضية جدار برلين إحدى أهم القضايا الكبرى التي غيرت مجرى تاريخ العالم وبرز معالم تسطيح العالم حيث قال في ذلك: " لم يساعد سقوط جدار برلين فقط في تسطيح بدائل رأسمالية السوق الحرة ويطلق الطاقات الهائلة المكبوتة لمئات الملايين من الأشخاص في أماكن مثل ، الهند ،البرازيل و الصين و الإمبراطورية السوفييتية السابقة . بل سمح لنا أيضا بالتفكير بشأن العالم بشكل مختلف، برؤيته أكثر ككل متصل .لم يكن جدار برلين يسد طريقنا فقط، بل يحجب عنا الرؤية . قدرتنا على التفكير في العالم كسوق واحدة، ونظام بيئي واحد، ومجموعة واحدة قبل العام 1989 ، كان يمكنك أن

تتبنى سياسة شرقية أو سياسة غربية، لكن من الصعب أن تفكر في سياسة عالمية..^(٢٠).

اذن هو هكذا الأمر تعتبر السياسات التي تسير العالم أحد أبرز العوامل التي تسير وجهة التعددية الثقافية والدينية للعالم بما يخدم بقاء الحضارة الإسلامية في دائرة الهامش لعل على رأس هذه الأدوات التي أشار لها توماس فريدمان في أطروحته هذه هي مختلف وسائل الاعلام فهذه البروباغندا لها الدور الفاعل في توجيه الرأي العام بما يحقق أغراضاً معينة تتوافق وطبيعة التوجهات التي تريدها أمريكا وقد ازدادت فعالية هذه الوسائل خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ هذا الحدث الذي انتقل من مجرد حدث إلى مفهوم صاغ السياسات التي بنيت عليها القرارات فيما بعد، فكان بمثابة حدث لبدايات قرن جديد، ليتخذ فيما بعد كذريعة للسطو على الهويات وتدميرها، ليكشف هذا الحدث عن مدى الحقد الدفين من طرف تلك الفلسفات تجاه الهوية والنموذج الثقافي الإسلامي.

إن المركزية الغربية بتلك "الممارسات التي تركز على فرض الحضارة والمصالح الغربية عموماً في جميع مجالات الحياة على حساب باقي الثقافات والحضارات والشعوب، وبكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة"^(٢١) وما زاد الطينة بلة اللوبيات التي كانت ولا زالت تتحكم في الوسائل الإعلامية العالمية الأمر الذي ساعد على انتشار ظاهرة تسطيح الثقافات وسرعة نشر الأخبار خاصة تلك المتعلقة منها بالقرارات السياسية التي زعزعت

هويات الأوطان وخربتها، ولعل هذا ما أشار إليه الكاتب عبد الخلق عبد الله في مجلة عالم الفكر عندما أكد على أن أي قرار يتخذ بالعاصمة الأمريكية سرعان ما ينتشر بكل عواصم العالم لتستحوذ تلك التشريعات على اهتمام كامل العالم باعتبارها قضية رأي عام عالمي، لتؤثر في ما بعد تلك السياسات تأثيراً حاسماً على السياسات الخارجية والداخلية لكل المجتمعات القريبة والبعيدة^(٢٢).

الإعلام ودوره في تأجيج صراع الهويات الدينية والثقافية:

ففي إطار تحقق تلك النبوءات بداية من فلسفة نهاية الأيديولوجيا مروراً ببناء التاريخ ووصولاً لفلسفة صراع الحضارات وتأصيلهم لمركزية حقوق الشعوب الغربية وتهميش باقي الهويات الثقافية أو الدينية وبالتالي فقد عملت على تقويض مفهوم حقوق الإنسان وما زاد الطين بلة فيما بعد الدور الكبير الذي كانت تقوم به البروباغندا Propaganda الإعلامية، التي هي الأخرى كان لها فعلها في تأجيج تلك الفلسفات أو صراع لعبة التيه العالمي كما أسميها، وتوجيه الخطاب الإعلامي في اتجاه واحد معاد للهوية الإسلامية، لتجد الولايات المتحدة الأمريكية الحجة الدامغة حسبها على ضرورة محاربة هذا العدو من منطلق شيفرة نهاية الأيديولوجيات وسيطرة ايديولوجيا واحدة هي الأيديولوجيا الغربية الرأسمالية البراغماتية مروراً بنهاية التاريخ في النموذج الثقافي الغربي باعتبار ذلك الرجل الأبيض هو المنوط له تحديد مبادئ حقوق الإنسان وصولاً لفلسفة الصراع الحتمي للحضارات التي جاء بها هنغتون، فأقنعت الرأي العالمي بأن العدو هو الإسلام فكانت اغلب الاستضافات في كبرى وكالات الانباء الغربية كالـ CNN لمفكرين غربيين تميزوا بالعنصرية والعدائية تجاه الدين الاسلامي.

وهو ما أدى لضياع حقوق العديد من المسلمين بالدول الغربية خاصة أمريكا في تلك الفترة وهو ما تجسد في أبسط الحقوق وهو الحق في الاعتقاد والحق في الحرية فقد شاهدنا سجن غوانتانامو وتلك التسريبات الخطيرة للصور البشعة عن عمليات التعذيب الشديد لمسلمين لا ذنب لهم غير أنهم اعلنوا انهم مسلمين ويعتزون بإسلامهم فعن أي حقوق انسان يحدثوننا وعن أي حرية يروجون لها وعن أيه تعددية ثقافية ويسعون لتحقيقها داخل مجتمعاتنا فالتعددية الثقافية ليست تلك التي يروج لها في مختلف وسائل الإعلام من "احلال سيطرة بدل أخرى، بل إظهار قيم اجتماعية جديدة جذرية، وتكفل الاستقلال الذاتي ومسؤولية كل فرد، لكي تتيح له أن لا يبقى موضوع التاريخ، بل فاعل التاريخ، وان يبدع إبداعاً تاماً مستقبلاً الجميع"^(٢٣).

وما أجمع أكثر تلك العداوة وأدى لتقشي صراع الهويات الثقافية و الدينية هو حدث القرن هجومات أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ فإثر ذلك الانعطاف التاريخي للعالم توجه الخطاب الاعلامي والسياسي والعسكري للولايات المتحدة الأمريكية بعد يوم السبت الأسود مباشرة لتكريس خطابات العدائية تجاه الهوية الإسلامية، فبرز إلى العلن خطاب التثائيات الضدية في الحوارات الصحفية للقائمين على السياسة الأمريكية هناك كثنائية "محور الشر، محور الخير" ورواج مصطلحات طافحة بالعنصرية كمصطلح الإسلام الراديكالي، الإسلام الأصولي، الجماعات الإسلامية الإرهابية... وغيرها من المصطلحات الطافحة بأحقاد الحروب الصليبية المسيطرة على النسق الفكري لقادة الغرب، فالعالم يذكر جيدًا لما اعتلى جورج بوش الابن _الابن المدلل للماسونية العالمية_ منبر البيت الأبيض ليعلنها صراحة عن عودة الحروب الصليبية من جديد...!!، ليقال فيما بعد بأنها زلة لسان لكن كما نعرف في علم النفس فزلات اللسان هي أصدق ما يكنه الإنسان في داخله، فيظهر ذلك جليا من خلال تلك الزلات أو فلتات اللسان التي تكشف عن حقيقة باطنه ليعبر بوش بذلك على مركزية الحضارة الغربية في العالم ومدى تجذرها في البنية العقلية لقادة الدول الغربية ولعلنا نتلمس ذلك بشكل اكبر من خلال وقوفنا على الاهداف العامة لتلك الفلسفات التي تصوغ العولمة بمختلف أبعادها.

الأهداف العامة لفلسفة العولمة بمختلف أبعادها:

جميع هذه القضايا التي تصوغ اشكاليات العولمة في أوطاننا العربية والإسلامية تعمل وفق اهداف مسطرة مسبقا يمكن أن نصوغ في بعض الأهداف التي ترمي إليها في النقاط التالية:

_ العمل على زعزعة أمن واستقرار الدول العربية والإسلامية ونشر بذور الانقلابات السياسية من خلال اكراهات تدخلات الأيدي الخارجية وتهيئة الجو لذلك من خلال تحريك فكرة صراع الأقليات و ضرورة حفظ حقوقها من بطش الأغلبية الدينية و بالتالي يتم تبرير

تلك التدخلات التي تزيد من تفاقم الوضع وزعزعة أمن الاوطان لتكون الفوضى هي سيدة الموقف.

_ نشر ثقافة العنف والتخريب وإبراز الخطابات التكفيرية من خلال تلك السياسات التسلطية للعولمة نتيجة السياسات التي تتعامل بها القوى العالمية مع الوطن العربي والإسلامي.

_ العمل على جعل من الثقافات المختلفة والمتنوعة ثقافة واحدة من خلال نشر فكرة العالم مسطح بحث تتحول التعددية الثقافية إلى احادية ثقافية بقيادة القطب الواحد وهي الولايات المتحدة الأمريكية هذه الفلسفة التي تعد أحد الاهداف الكبرى للعولمة.

_ العولمة بنظرياتها المختلفة كنظرية نهاية التاريخ ونظرية صراع الحضارات ونظرية تسطيح العالم تعمل على قولبة وتتميط العالم وفق رؤية ايديولوجية تجسد معالم الحضارة الغربية باعتبارها الحضارة الأقوى التي يجب على باقي الدول اتباع المقاييس والشروط التي تضعها في نظرتها لحقوق الانسان.

_ المظاهر المشاهدة بمختلفة الدول العربية خاصة دول الربيع العربي من خراب وقتل وتشريد للشعوب المستضعفة ما هي إلا نتائج طبيعية مترتبة على ما أحدثته العولمة بفلسفتها العدائية تجاه الاوطان العربية والإسلامية نتيجة نشر تلك الأفكار الخبيثة التي تحث على العنف والكراهية وتكريس للجهل والامية بمدى احترام ديدننا الإسلامي لباقي الأديان.

_ الفوضى الخلاقة أحد أبرز الأهداف الكبرى للعولمة التي تديرها القوى الغربية لتشكيل عالم جديد يصوغ أفكار النظام الدولي الجديد وصياغته لفلسفة حقوق الانسان وفق المقاييس و الشروط التي تضعها الدول الغربية، بحيث تنسف معالم الثقافات المختلفة والمتنوعة بالعالم لتبرز ثقافة واحدة مهيمنة على العالم هي ثقافة الطرف الأقوى بالعالم وتهتمش باقي الثقافات لتكون هوامش تحيك بالمركز لا أكثر.

هذه الأهداف وأخرى تبق محل جدل واثارة في عالم تسوده الفوضى المدارة بشكل محكم، فعالم العولمة غني وثرى بالأهداف القريبة والبعيدة المدى تعمل على ادارتها القوى

الاستعمارية الغربية التي وجدت في العولمة واللعب على وتر فكرة التعددية الدينية وفق رؤية العولمة البديل عن الاستعمار المباشر التقليدي هذا النوع الجديد هو الأكثر فعالية وفتكا بالشعوب المستضعفة خاصة منها شعوب الدول العربية والإسلامية التي تفكك وأصرها يوميا خاصة على المستوى الفكري من خلال نظريات كثيرة ومتنوعة لعل أبرز هذه النظريات التي طرحناها في بحثنا هذا.

حقوق الانسان بين الهدي النبوي والفلسفة الغربية:

فرق شاسع بين نظرة الفلسفات التي قدمناها بالتحليل والنقد وغيرها من الفلسفات بين نفعية براغماتية مكيافيلية وبين عقلية ديكارتية وغيرها من الفلسفات تؤصل لشر الانسان وأخرى لتعزيز مواطن الخير فيه رابطة ذلك بمفهوم حقوق الإنسان ليتخذ من مفهوم حقوق الانسان كوسيلة ملتوية للعمليات السياسية والحربية تدفعها أسباب عميقة ضاربة بجذورها في المعتقدات الدينية لبعض الجماعات الصهيونية العالمية من خلال أجندة مدروسة ومحكمة السير وهو ما أدى كما قال الإمام محمد الغزالي إلى "تمويت الإيمان في ضمائر الإنسان، بحيث ينفصل السلوك عن العقيدة، فيحرف هذا وتنكمش تلك، ويصبح المجتمع مسرحا للمبازل المستقرة والأهواء المطاعة والتيارات الطائشة، ثم يتحول ما بقي من دين إلى أشكال فارغة، وبدع حقيرة لا تغني عن أصحابها شيئا"^(٢٤).

من خلال هذا الخطاب نتبين مدى تسبب تلك السياسات العالمية في قتل العقائد وتهميشها وعملا على زعزعة الاوطان وافقادها للأمن والأمان، فقد باتت ثقافة التهميش والتمركز بحد ذاتها ثقافة متأصلة في البنية العقلية لقادة المجتمعات الغربية ما أنتج غياب الروح وفقدان الذات الانسانية لقيم قبول الآخر والتمركز حول الذات اعتقادا بساميتها المطلقة وما دونها عبيد وخدم. "وتطالعنا صفحات التاريخ القديم والحديث بموجبات استعبادية أوروبية استعبدت باسم المسيحية الافريقيين وأبادت الهنود الحمر وباركت الكنيسة الاوروبية هذا الاستعباد حتى أن مدارس التبشير والتنصير الأوروبية المعاصرة والتي تمارس عملها في افريقيا وآسيا توجي للمتنصرين الجدد بأن خلاصهم من العبودية

لا يتم إلا من خلال خولهم المسيحية. وعندما يدخلونها لا يرتفع عنهم التمييز العنصري وهذا ما كان يحدث على نطاق واسع في جنوب افريقيا وناميبيا وغيرهما من البلدان الأفريقية^(٢٥).

فمن خلال هذه الشواهد التاريخية وبين الهدي النبوي في تشريعه لحق الانسان في الاختلاف الديني والثقافي ودورهما في حماية الاوطان وتوثيق أوامر العلاقات الاجتماعية بين أبناء الوطن الواحد نجد أن هناك فرق شاسع بين الفلسفتين من ناحية الوعي الحقيقي بأهمية ترسيخ قيم التعددية الثقافية والدينية ودورها في حماية الوطن من خلال السنة النبوية باستجلاء مواطن المشكلات العصرية وإيجاد الحلول لها، فقد عرف الاسلام وعبر تاريخه بحفظ حق الاعتقاد كمبدأ أساسي من مبادئ حقوق الانسان حيث وضع الاسلام ميزانا فاصلا يحدد فيه الحقوق والواجبات وهو ما جعل كبار فلاسفة الغرب المنصفين يشيدون بمبادئ الإسلام لعل على رأسهم المفكر الفرنسي روجيه غارودي حيث نجده يعرف الإسلام بعيدا عن تعريفات المستشرقين، بقوله: "الإسلام هو تلك الرؤية لله، وللعالم وللإنسان التي تنشط بالعلوم وبالفنون، وبكل إنسان وبكل مجتمع. مشروع بناء عالم إلهي وإنساني لا انفصام فيه"^(٢٦). ولعل ذلك ما تجسد في مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام حيث شرع نبي الرحمة الأعظم عليه الصلاة والسلام من تطبيقات حقيقية لسماحة الإسلام ليتسق ذلك التنوع مع الحالة الفكرية الجديدة التي توطن عليها المسلمون وغيرهم من الأديان والطوائف آنذاك ليشكلوا معالم هوية وطن يجمع بين مختلف الثقافات والملل والنحل من خلال ذلك النسيج الوطني القوي الذي يجمعهم ويعزز من الرابط بينهم.

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو كيف لنا أن نفعل فلسفة التعددية الدينية والثقافية وفق الهدي النبوي احقا وتطبيقا لفلسفة حقوق الإنسان الحقيقية داخل أوطاننا وفق فلسفة نبي الرحمة محمد ابن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، الذي جاء للعالمين كافة على اختلاف أديانهم وتنوع ثقافتهم، هل يمكن احداث نوع من الترحيل لتلك الفلسفة إلى عصرنا اليوم عصر العولمة والتعددية الثقافية والدينية في أوج تفاعلها، تلك الفلسفة

التي تسعى كما قال الباحث محمود كيشانه إلى "الخروج بالبشر من دائرة الصراع المذهبي والخلافات والعنف الذي يجتاح العنف بصور شتى وألوان مختلفة"^(٢٧) ؟.

اشراقات نبوية حول قيم التعايش الديني والثقافي كحق انساني:

إن المأمول من فكرة التعايش واحقاق حق المواطنة منهج مقدس وطريق مستقيم في السنة النبوية المطهرة من دعوة لتقوية أوأصر الروابط الاجتماعية وزرع بذور المودة والمحبة والتراحم بين الأجناس البشرية على اختلاف مللها وتنوع نحلها، كل ذلك في ظل وكنف الطاعة الربانية والقبس المنير الذي تم الفصل فيه في سنة النبي الأعظم محمد ابن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام، فالمفهوم النبوي الإسلامي يستند لأسس شرعية ربانية تقرر بضرورة الاختلاف وضرورة التجانس والتكامل بين مختلف الجماعات وهو ما يعلي من شأن تلك القيم المقدسة، لتصل تلك الهويات المتجانسة على اخلافها إلى بر الأمان وشاطئ الإسلام الطريق السليم والحصن الحصين لكل من تاهت بوصلته الربانية عن كيفية تحقيق التحصين سواء للأسرة أو الأفراد من تلك الأفكار الخبيثة الساعية لتهديم استقرار وأمن الأوطان.

يعرف سفن م . سبينجيمان التعايش بأنه يمثل " نموذجاً لاستئناف حياة منتجة آمنة، ونظاماً اجتماعياً يمكن للأفراد الذين انخرطوا في أعمال عدائية سابقة ضد بعضهم البعض أن يعيشوا ويعملوا معا دون أن يدمر أحدهم الآخر. فالتعايش إذن هو الطريقة التي يجب أن تدار بشكل حذر من أجل تجنب تجدد العداءات وفي بعض الأحوال قد يصبح التعايش شكلاً لدولة مستقرة نسبياً، ولكنها غير مندمجة. أو في حالات أخرى، قد يحمل معه احتمالات تحقيق اندماج اجتماعي واقتصادي أكثر عمقا"^(٢٨). ولعل هذا العمق نلمسه في مدينة المصطفى عليه الصلاة والسلام حينما أقام دولة الإسلام فكانت قيم المواطنة مجسدة وفق شريعة ربانية ونورانية نبوية وهو ما يدل على المستوى المتطور الذي وصل له النبي ﷺ من حكمة سياسية وسن إدارة لدولته، فقد كانت وثيقة المدينة نظاماً داخليا

تطميني للأقليات بحفظ حقوقهم الدينية والثقافية من أعراف وعادات وتقاليد يحفظها لهم الإسلام دون افراط أو تفريط مخل.

ونعطي أبرز مثال على ذلك بالعنصر اليهودي كأقلية اجتماعية لها حقوق وعليها واجبات حيث كانت أعدادهم وقت توقيع الوثيقة حوالي ٤٠٠٠ نسمة^(٢٩). فقد مثل اليهود آنذاك الفئة العقائدية والدينية المختلفة التي حفظ لهم الدين الإسلام حق أداء شعائهم، وقد نصت الفقرة التاسع عشر على ذلك حيث جاء فيها قوله صلى الله عليه وسلم: "...وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم"^(٣٠). فهذا الحديث يعتبر ميثاق تعايش واحقاق لحقوق الأقليات بالمدينة المنورة ودستور لحفظ كيان الدولة والأمة بمختلف طوائفها، فمفهوم الأمة في سياقها الإسلامي مفهوم واسع يضم العديد من الثقافات والأديان والإسلام يحفظ لهم كامل حقوقهم، ونعود في هذا السياق مرة أخرى للحديث عن اليهود كعنصر مشكل للأمة حيث جاء في الفقرة الخامس والعشرين من الوثيقة قوله صلة الله عليه وسلم "وإن يهود بني عوف أمة من المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم..."^(٣١)، وهو ميثاق يجسد وبحق قيم التعايش وحفظ حق الأقليات باعتبارهم عنصر يكون مفاصل الدولة من أجل حماية الوطن من أي انزلاقات لا تحمد عقباها.

كما جسد النبي ﷺ قيم الخلافة في الأرض بالعمل الصالح الذي أحد أبرز مظاهره احقاق حقوق الإنسان بتحقيق العدل والمساواة لتحقيق الرفاهية المطلوبة له كإنسان وقد جاء الإسلام ليؤكد على ذلك ويهدف إلى تحقيق سعادة الإنسان وذلك بتنظيم علاقاته مع خالقه تبارك وتعالى، وبالكون الذي يعيش فيه، وبأخيه الإنسان، تحقيقاً لإرادة الخالق عز وجل بأن يكون الإنسان خليفة الله في الأرض، فتنحقق له السعادة في الدارين مع الدنيا والآخرة، وقد برز ذلك في قوله تعالى: (مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)^(٣٢).

وهذا ما يجسد قيم المواطنة بكامل حذافيرها ويعلي من شأن قيم التعايش المشترك وقيم المواطنة القائمة على مبدأ العمل الصالح بناءً للدولة والأمة كافةً وبالتالي تذوب الصراعات التي تتخبط فيها الإنسانية اليوم نتيجة فقداننا تلك التعاملات النبوية الربانية الهادية للسبيل القوم المبين لحقوق الإنسان نتيجة عمليات الإغراق القصرية التي تمارسها القوى الغربية على الدول المستضعفة بالعالم، حيث تضع معايير معينة لمبادئ حقوق الإنسان وفق خارطة استراتيجية تطبخ هناك مسبقاً بالبيت الأبيض وغيرها من مراكز القرار العالمية ضرباً للقيم الإنسانية وإعلاء للمركزية الغربية وثقافة أفضلية الرجل الأبيض على باقي الشعوب، وهو ما سنكتشفه في الدور الكبير الذي تمارسه الخطابات الإعلامية للترويج لتلك الأفكار المسمومة الساعية لهدم قيم وحدة كيان الأمة.

الخاتمة:

من خلال ما طرحناه آنفاً في ورقتنا البحثية هذه من إشكاليات وتسؤلات عويصة، وسعيًا منا لإيجاد الحلول المناسبة للوقوف في وجه هذا التسونامي الاستعماري الفكري الجديد إن جاز التعبير الجارف للهويات الدينية والثقافات المتنوعة بأوطاننا العربية تحت غطاء فلسفة حقوق الإنسان، نطرح في خاتمة مقاربتنا هذه بعض الأفكار والتوصيات التي نرجو أن تسهم في ترميم التصدعات الجاثمة على خارطة الهوياتية للتنوع الطائفي والديني والثقافي بوطننا العربي، لتحقيق سبل اعتناقنا من مد الخطابات المحرصة على العنف والإرهاب والتكفير وويلاته، وإرساء لدعائم سبل غرس الهدي النبوي بالخطاب الاعلامي للدول العربية بعيداً عن خطاب الغرس الثقافي للفلسفة الاستعمارية الجديدة الوافدة إلينا من الخارج:

١- ارساء قواعد التعايش السلمي وتعلم سبل التعايش بين الثقافات والأديان المختلفة لن يكون برفع الشعارات الزائفة، وإنما يتحقق ذلك بتضافر جهود جميع الأطراف باستخدام لغة العصر وأدواته، وتفعيل مؤسسات المجتمع المدني المختلفة، ونشر ما تحث عليه مختلف الأديان من قيم التسامح والتعايش بين المذاهب، خاصة في المناهج التعليمية تعليمًا وتربية

لهم على اتقان فن حقوق الانسان، تحت اشراف مختصين في المجال وليس مجرد درس يتم إلقاؤه فقط لتنتهي المهمة عند ذلك، فالأمر أكثر من ذلك بكثير.

٢- من الضروري بعث سبل تجديد الثقافة العربية خاصة الخطاب الديني، وتفعيل دوره في الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية بجميع طوائفها بعيداً عن جدل التعصب للعرق أو المذهب...الخ، وقوفاً في وجه الخطابات الفلسفية الجديدة المغلفة بقيم الاستشراق ذات الطابع الاستعماري الجديد، وهذا كله تأسيساً لنوع جديد من الاستشراف المستقبلي لأمة جديدة ولدت من رحم الانبعاث الحضاري الإسلامي القويم، بعيداً عن الصراع الديني المدعم من أطراف خارجية تكن الحقد والكراهية لكل ما يمت للإسلام بصلة.

٣- لقد أنتجت فلسفة ما بعد الحداثة انساناً غريباً ثنائياً، مخرباً للعالم ناسفاً للقيم حقوق الانسان وشتى أنواع التعايش السلمي القائم على مبدأ قبول الثقافات الأديان ضارباً بكل ذلك عرض الحائط، ومرسياً بدل ذلك مفاهيم جديدة من قبل: الهدم، التشطي، المركزية الغربية، الإسلاموفوبيا...الخ، ساعية إلى نشر هذه المفاهيم وترسيخها في الأذهان، تحت غطاء وأقنعة مختلفة تختزل معادلة صراع الأديان بمختلف أبعادها.

٤- تعدد أحداث ١١/٩/١٩٩٩ بمثابة النبوءة التي أكدت نظرية صراع الحضارات الهنغتونية والتي اتخذت منها الولايات المتحدة الأمريكية مطية لشحن الهمم وتفعيل الحراك العالمي ضد الهوية الثقافية الإسلامية، وهو ما جعلها تفرغ طبول الحرب معلنة المعركة ضد محور الشر كما قال جورج بوش آنذاك، لتعلن بعدها عودة ما سمي بالحروب الصليبية من جديد ونتائج ذلك ماثلة أمامنا في كثير من الدول لعل على رأسها العراق وسوريا حالياً من انفراط كبير لمد الصراعات الأيديولوجية المقتتة لكيان الدول والناشرة للفتن الطائفية، التي أصبحت تفتك يوماً بعد يوم بقيم التعددية الثقافية للأمة العربية والإسلامية .

٥- فرق كبير بين نظرة الفلسفة الغربية الوضعية في نظريتها لقضية حقوق الانسان و وجهة نظر الهدي النبوي في التأسيس لهذا الحق المشروع فالقوى الغربية انطلقت من اكرهات حتمتها عليها الشعوب ما اضطرها لوضع ميثاق عالمي لحقوق الانسان فضلاً عن

السياسات الاستعمارية في اتخاذ من هذه الفلسفة مطية للسيطرة على الشعوب، اما الهدي النبوي فقد كان امرا تلقائيا تلبيه لنداء الفطرة فضلا عن تنفيذ أمر رباني صالح للتطبيق في كل زمان ومكان على اختلاف الثقافات والأديان.

٦_ العنصرية والتفرقة بين الأديان والشعوب والأعراق والثقافات في الدول الغربية نابع من فلسفة عنصرية متأصلة في الفكر الغربي بداية بأفلاطون وصولا لفوكوياما وهنغتون وغيرهم الكثير ترى أن الانسان الغربي أسمى وأعرق ثقافة وأرفع ديناً وهو ما جعل العديد من الفلاسفة الغربيين المنصفين أمثال جون جاك روسو وإيريك فروم وروجيه غارودي ونعوم تشومسكي... يوجهون نقدهم اللاذع لما وصلت له الحضارة الغربية من عنصرية تجاه الدين السامية فهذا الأخير _نعوم تشومسكي_ يعتبر أبرز المفكرين الذين يقفون في وجه السياسات الغربية التي تتخذ من فزاعة حقوق الانسان وحفظ حقوق الأقليات لتقسيم الشرق الأوسط وتفتيته.

٧_ لابد من تضافر جهود جميع الدول العربية الإسلامية سواء على مستوى الحكومات أم على مستوى الشعوب، وتحدث فيما بينها تعاون وتنسيقات عالية المستوى، وتكثيف الجهود أكثر على مستوى النخب الثقافية بما أنها فئة تنويرية بإقامة مؤتمرات وندوات للتباحث في سبل بعث الهدي النبوي في نظريته لفكرة التعددية الدينية وإحقاق حقوق الإنسان، إلى جانب العمل على دعم منظمات المجتمع المدني والعمل على تغلغلها داخل النسيج الاجتماعي للمجتمعات العربية حتى تنتشر التوعية أكثر بمخاطر الفتن الطائفية وأثر ذلك على الهوية الإسلامية ومدى تماسك المجتمع تجنباً للانزلاقات الوطنية نحو العنف والدموية.

٨_ انتشار دواعي حوار الأديان وتمازج الثقافات وتلاقح الحضارات والمعرفة الكونية... إلخ، كلها تقريباً صنعت لأغراض سياسية بحتة ساعية إلى إحكام السيطرة على العالم، ونشراً للنموذج الثقافي الأمريكي، بدعوى أنها هي الأجدر بقيادة العالم كما أعلن ذلك صمويل هنغتون على اعتبار أنها ثقافة مركز القوة في العالم، فهي مجرد شعارات زائفة

مزرکشة بصورة بهیة من الخارج، فی حین هی انتهازیة استعماریة من الداخل تسعى لزعة امن الأوطان ونشر الخراب والدمار بها.

الهوامش والمظان :

- القرآن الکریم.
- عبد الحکیم منصور: حکومت العالم الخفیة _ الماسونیة والثورات الشعبیة بین الحقیقة والافتراء، دار الکتاب العربی- القاهرة، ٢٠١٢، ص ٢٤٢.
- عبد الله بلقزیز: فی البدء كانت الثقافة، نحو وعی عربی متجدد بالمسألة الثقافیة، أفریقیا الشرق، المغرب، ١٩٩٨، ص ٣٩.
- حسن مصطفی الباش: حقوق الانسان بین الفلسفة والأدیان، جمعیة الدعوة الإسلامیة العالمیة بنغازی - لیبیا، ١، ١٤٢٦هـ، ص ٥٦.
- محمد الغزالی: قذائف الحق، دار القلم- دمشق، ط٣، ١٤٢٣هـ، ص ٢٩٢.
- عبد اللطیف عبد الله الغامدی: المרכזیة الغربیة وتناقضاتها مع حقوق الانسان، رسالة ماجستیر، (عن شبکة النت العالمیة)، ص ٢١.
- عبد الخالق عبد الله: العولمة: جذورها وفروعها وکیفیة التعامل معها، مجلة عالم الفكر - الکویت، عدد 27، سنة 1999، ص 81.
- محمد عابد الجابری: مسألة الهوية - العربیة والإسلام والغرب - بیروت، مرکز دراسات الوحدة العربیة، ١٩٩٥، ص ١٢.
- محمد عمارة: مخاطر العولمة على الهوية الثقافیة، نهضة مصر، ط١، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٦.
- روجیه غارودی: من أجل حوار بین الحضارات، دار النفائس- بیروت، ط١، ١٤١١، ص ١٨٨.
- روجی جارودی: وعود الإسلام، تر: زقاق قرقوط، الوطن العربی، القاهرة - بیروت، ١٩٧٤، ص ٢٢.
- مالکم برادبری وجیمس ماکفارلین: الحادثة ١، تر: مؤید حسین فوزی، مرکز الإنماء الحضاری - حلب، (د.ط.)، ٢٠٠٩، ص ١٩.
- توماس فریدمان: العالم مستو موجز تاریخ القرن الحادی والعشرین، تر: عمر الأیوبی، دار الکتاب العربی- بیروت، ٢٠٠٥، ص ٦٠.

Paris, 1997, ?, Fayard, Touraine (Alain), Pourrons nous vivre ensemble *

p.2.



- Goytisolo (Juan), "Que peut la litterature ?", Le Monde Diplomatique, Novembre 1999, p.28.
- Chomsky N: la doctrine des bonnes intentions. Fayard, France, 2005, p 35.
- التعددية الدينية في الإسلام "قراءة في صحيفة المدينة"، ملف بحثي صادر عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود، ٢٠١٥، ص ١١.
- محمد الحبر: التغريب والاستغراب والسلفية، مؤسسة الوحدة للصحافة، يومية الثورة، سوريا
thawra.alwehda.gov.sy
- صلاح سالم: نهاية الأيديولوجيا أم تحورها

<http://www.albayan.ae/opinions/articles/2015-09-15-1.2459453>

- فاطمة الزهراء كيف : فوكوياما من نهاية التاريخ إلى مستقبلنا ما بعد بشري
<http://www.m-mahdi.com/forum/showthread.php?t=2626>
- ابراهيم غرايب: الع الم مس طح

<http://www.aljazeera.net/knowledgegate/books/2006/4/11/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85-%D9%85%D8%B3%D8%B7%D8%AD>

- روجيه غارودي: من أجل حوار بين الحضارات، مصدر سابق ، ص ١٨٨.
- محمد الغزالي: فذائف الحق، مصدر سابق ، ص ٢٩٢.
- حسن مصطفى الباش: حقوق الانسان بين الفلسفة والأديان، مصدر سابق، ص ٥٦.
- روجي جارودي: وعود الإسلام، ترجمة زقاق قرقوط، مصدر سابق، ص ٢٢.
- التعددية الدينية في الإسلام "قراءة في صحيفة المدينة"، ملف بحثي صادر عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود، ٢٠١٥، ص ١١.
- سفن م . سبينجيمان: ثمن الحرية الخفي: تأطير عراقيل التعايش الاقتصادي، بحث منشور في كتاب تخيل التعايش معاً، تحرير أنطونيا تشايز ومارشا ميناو، ترجمة فؤاد السروجي، ط ١ ، عمان - الأردن، الاهلية للنشر و التوزيع، ٢٠٠٦، ص ٢٩.
- علي بولاج: وثيقة المدينة المنورة: وثيقة السلام في مجتمع متعدد الثقافات والأديان، مقال منشور على موقع www.rabitat-alwaha.net
- عبد الملك بن هشام المعافري: السيرة النبوية، المجلد الثاني- بيروت، الكتاب العالمي للنشر، ٢٠٠٨، ص ٩٩.



• موقع صيد الفوائد <http://www.saaaid.net/mohamed/234.htm>

• القرآن الكريم ، سورة النحل: الآية ٩٧.

الهوامش

^١ _ Chomsky N: la doctrine des bonnes intentions. Fayard, France, 2005, p 35.

^٢ _ عبد الحكيم منصور: حكومة العالم الخفية _ الماسونية والثورات الشعبية بين الحقيقة والافتراء، دار الكتاب العربي- القاهرة، ٢٠١٢، ص ٢٤٢.

^٣ _ سورة الحجرات: الآية ١٣.

^٤ _ محمد عابد الجابري : مسألة الهوية - العروبة والإسلام والغرب ، بيروت - مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٥ ، ص ١٢.

^٥ _ محمد عمارة: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية- نهضة مصر، ط١، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٦.

^٦ _ صلاح سالم: نهاية الأيديولوجيا أم تحورها

<http://www.albayan.ae/opinions/articles/2015-09-15-1.2459453>

^٧ _ عبد الاله بلقزيز: في البدء كانت الثقافة، نحو وعي عربي متجدد بالمسألة الثقافية، أفريقيا الشرق - المغرب، ١٩٩٨. ص ٣٩.

^٨ _ عبد الاله بلقزيز: في البدء كانت الثقافة، المرجع نفسه ، ص ١٣٣.

^٩ _ Paris, 1997, p.2. ?, Fayard, Touraine (Alain), Pourrons nous vivre ensemble

, Le Monde Diplomatique, Novembre 1999, "؟" _ Goytisolo (Juan),"Que peut la litterature p.28.

^{١١} _ محمد الحبر: التغريب والاستغراب والسلفية، مؤسسة الوحدة للصحافة، يومية الثورة، سوريا thawra.alwehda.gov.sy

^{١٢} _ مالك براديري وجيمس ماكفارلين: الحادثة ١، تر: مؤيد حسين فوزي، مركز الإنماء الحضاري، حلب- سوريا، (د.ط)، ٢٠٠٩، ص ١٩.

^{١٣} _ فاطمة الزهراء كفيف : فوكوياما من نهاية التاريخ إلى مستقبلنا ما بعد بشري

<http://www.m-mahdi.com/forum/showthread.php?t=2626>

^{١٤} _ صمويل هنغتون : صدام الحضارات و إعادة بناء النظام العالمي ، مصدر سابق، ص ٣٢٧ .

^{١٥} _ صراع الحضارات في سجاله و تجلياته : ٢٣ أكتوبر ٢٠٠٩.

http://alshazlyalghozly.ahlamontada.net/t31_topic

^{١٦} _ أرون ستلزر : المحافظون الجدد ، تر : فاضل جتكر ، دار العبيكان للنشر - الرياض ، (د. ط.)، ص ٢٩٩ .

^{١٧} _ هادي قببسي: السياسة الخارجية الامريكية بين مدرستين : المحافظة الجديدة والواقعية، الدار العربية للعلوم ناشرون - بيروت، ص ١٨ .

^{١٨} _ محمود فايز، سجي زيدان : الأطاريح الفكرية في عالم ما بعد الحرب الباردة _ أطروحة صدام الحضارات أنموذجاً _ ، مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية، العراق، مجلد ٥، عدد ١٨، السنة الخامسة، ص ٣٢٠ .

^{١٩} _ ابراهيم غرايبة : العالم مسطح

<http://www.aljazeera.net/knowledgegate/books/2006/4/11/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85-%D9%85%D8%B3%D8%B7%D8%AD>

^{٢٠} _ توماس فريدمان : العالم مستو موجز تاريخ القرن الحادي والعشرين، تر: عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي- بيروت، ٢٠٠٥، ص ٦٠ .

^{٢١} _ عبد اللطيف عبد الله الغامدي: المركزية الغربية وتناقضاتها مع حقوق الانسان، رسالة ماجستير (عن الشبكة العالمية النت)، ص ٢١ .

^{٢٢} _ عبد الخالق عبد الله :العولمة : جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها، مجلة عالم الفكر، عدد٢٧، سنة ١٩٩٩، ص ٨١ .

^{٢٣} _ روجيه غارودي: من أجل حوار بين الحضارات، دار النفائس بنغازي ، ليبيا، ط١، ١٤١١هـ، ص ١٨٨ .

^{٢٤} _ محمد الغزالي: قذائف الحق، دار القلم، دمشق ط٣، ١٤٢٣هـ، ص ٢٩٢ .

^{٢٥} _ حسن مصطفى الباش: حقوق الانسان بين الفلسفة والأديان، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ص ٥٦ .

^{٢٦} _ روجي جارودي: **وعدو الإسلام**، ترجمة زقاق قرقوط، الوطن العربي، القاهرة-بيروت، ١٩٧٤، ص ٢٢ .

^{٢٧} _ التعددية الدينية في الإسلام "قراءة في صحيفة المدينة"، ملف بحثي صادر عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود، ٢٠١٥، ص ١١ .

^{٢٨} _ سفن م . سبينجيمان: ثمن الحرية الخفي: تأطير عراقيل التعايش الاقتصادي، بحث منشور في كتاب تخيل التعايش معا، تحرير أنطونيا تشايز ومارشا ميناو، ترجمة فؤاد السروجي، ط١ ، عمان- الأردن، ط١، ٢٠٠٦، ص ٢٩ .



المؤتمر العلمي الدولي الحادي عشر

نيسان / ٢٠١٩

جامعة واسط

مجلة كلية التربية

_ علي بولاج: وثيقة المدينة المنورة: وثيقة السلام في مجتمع متعدد الثقافات والأديان، مقال منشور على موقع

www.rabitat-alwaha.net

^{٣٠} _ عبد الملك بن هشام المعافري: السيرة النبوية، المجلد الثاني، بيروت- الكتاب العالمي للنشر،

٢٠٠٨، ص ٩٩.

^{٣١} _ موقع صيد الفوائد <http://www.saaaid.net/mohamed/234.htm>

^{٣٢} _ سورة النحل: الآية ٩٧.